مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023) ص 678-687

جدل الأنساق المضمرة في رواية نصف شمس صفراء لتشيماماندا نجوزي أديتشي

Controversy of implicit systems in Chimamanda Ngozi Adichie's Novel Half a Yellow Sun

إسمهان بعجي*

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة (الجزائر)

baadjiisma@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
12/ 01 /2023
تاريخ القبول:
25 / 05 /2023

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الصراع
- ✓ النسق
- ✓ النقد الثقافي

الملخص:

تهدف الورقة البحثية للكشف عن جدل الأنساق الثقافية المتوارية خلف رواية "نصف شمس صفراء" لتشيماماندا النيجيرية؛ وذلك بالاعتماد على منهج النقد الثقافي بوصفه منهجا يكشف عن الأنساق المضمرة داخل النص الروائي. فقد أفصحت الرواية عن وجود صراع طبقي تؤججه الأعراف والعادات والفكر القبلي، أفضى في الأخير إلى نشوب حرب أهلية قضت على العديد من سكان نيجيريا.

Article info

Received
12/01/ 2023
Accepted
25/05/2023

Keywords:
- ✓ *Conflict*
- ✓ *System*
- ✓ *Cultural Criticism*

Abstract :

The research paper aims to reveal the controversy of the cultural systems hidden behind the novel "Half of a Yellow Sun" by Chimamanda of Nigeria. This is based on the cultural criticism approach as a method that reveals implicit patterns within the fictional text. The novel revealed the existence of a class struggle fueled by customs, habits and tribal thought, which eventually led to the outbreak of a civil war that wiped out many of Nigeria's population.

*المؤلف المرسل

. مقدمة:

تشكل الرواية نسقا عاما يتضمن في بنيته الداخلية الأنساق الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية التي تتضافر بدورها مكونة التيمات التي تدور حولها الأحداث الروائية وينعكس فيها الواقع المادي والروحي مكونة صورا مختلفة عن الواقع المعيش، محاولة إبراز أهم القضايا التي تعاني منها المجتمعات، وتعريتها أمام المتلقي، وهو ما يؤكد فاعلية النصوص الروائية في إبراز الأنساق المسكوت عنها عبر تقلب الزمان واختلاف المكان كون" النص الأدبي حادثة ثقافية لا يمكن أن نقرأها بمعزل عن سياقاتها الخارجية التي خلفتها"(الغذامي، 2005، ص78) ، على اعتبار أن النصوص الروائية أشكال ثقافية مستترة تحت عباءة نصوص حافلة بمخزونات التاريخ والصراعات الطبقية والعادات والثقافة والفلكلور والأسطورة والحكمة، لأن" منظومة الأنساق الثقافية المكونة لذهنية أية أمة من الأمم تظل كامنة في نصوصها الأدبية الرسمية والشعبية(الغذامي، اصطيف، 2004، ص15)".

وقد ارتأينا في هذا البحث التطرق إلى الأدب الإفريقي باعتباره من الآداب التي استطاعت أن تصنع لها موقعا هاما ضمن دائرة الأدب العالمي، نظرا للغنى و التنوع في الأنساق التي يحويها؛ ومرد ذلك إلى تعدد الثقافات و اللغات و الأعراق و الديانات ...كل هذا كان سببا في ظهور أدب مختلف زاد في صياغته المعاناة والآلام التي عانى منها الأفارقة على مرّ التاريخ من استعمار و عبودية و هجرة. وقد تزامن ظهور الوعي الثقافي والسياسي الإفريقي مع ظهور ديبوا ودعواته المحفزة والمؤثرة الساعية إلى تحرير الفرد الإفريقي سببا رئيسا في بلورة هذا الأدب ذو الخصوصية الثقافية الإفريقية؛ حيث كان ديبوا أول من دعا إلى فكرة الوحدة الإفريقية، في مطلع القرن التاسع عشر، وقد شكل هذا نموذجا فريدا في ثقافة المقاومة، فقد كان أبا روحيا لجيل قاد التحرير في إفريقيا(شلش، 1993، ص80) ، وكانت الحركة القومية الإفريقية رد فعل ووعي بالذات الإفريقية ضد المستعمر الأبيض، حيث شارك فيها الأفارقة والبيض.

لقد نتج عن هذا الوعي القومي وبطريقة آلية ثقافة يمكن إلى حد كبير وصفها بالثقافة القومية؛ حيث إنها مجموعة الجهود التي يبذلها شعب من الشعوب على صعيد الفكر من أجل أن يصف وأن يبرر وأن يغني النظام الذي به يتكون الشعب ويبقى(موسى، 2009، ص20) ، وهذه الثقافة لا تخرج عن النمط الذي يعيشه هذا الشعب؛ فهي تصور الحياة وطبيعتها وفلسفتها ومجمل التفاصيل التي تبنى عليها، ويساهم أفراد هذا الشعب في نشرها بغية إبراز التمايز بينهم وبين غيرهم، مما يشكل حضارة وهوية خاصة بهم.

وقد تميز هذا الأدب في عمومه بالطابع الدفاعي عن الهوية الإفريقية وعن مكانة الإنسان الإفريقي في عالم تميز بالقسوة في تعامله مع الإنسان الأسود، يشهد على ذلك تاريخ حافل بالمعاناة، وسوء الفهم والاستغلال، وقد نتج عن تناول هذه القضايا من قبل الأدباء الأفارقة ما يصطلح عليه بـ«الزنوجة»، التي تعد اختزالا لمعاناة وطموحات الإفريقي في علاقته بذاته وبالمستعمر السابق لأرضه أي الدفاع عن هويته.

ووقع اختيارنا على رواية "نصف شمس صفراء" لتشيماماندا النيجيرية، حيث تعيد إبداع لخطة حبلى بالأحداث من التاريخ الإفريقي الحديث، هي الحرب الأهلية النيجيرية التي استمرت ثلاث سنوات في ستينات القرن العشرين وما واكبها من عنف هائل.

- **النسق الثقافي:**

النسق الثقافي مفهوم إجرائي، يقصد به مجموعة من القيم المتوارية خلف النصوص والخطابات والممارسات، كيفما كانت هذه القيم إيديولوجية أو سياسية أو اجتماعية، ويرى وحيد بن بوعزيز:" أن وظيفة النقد الثقافي هي

استنطاق النصوص المطموسة في المجتمع، النصوص المقموعة والمهمشة والمحتقرة باعتبارها لا تنتمي إلى المعتمد الرسمي المدروس في النقد الأدبي من طرف جماعة اجتماعية من النخبة، تخدم مصلحة أو طبقة معينة"(بن بوعزيز، 2018).

والنسق يقوم على وظيفة الدلالة النسقية التي ترتبط بعلاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتتحول إلى عنصر ثقافي آخذ في التشكل، وهو أحيانا إما أن يكون ظاهرا وإما أن يكون كامنا. غير أن ما يميز النسق هو ما ينهض به من وظيفة، وليس من حيث وجوده المجرد(أبو شهاب، 2016).

ومن أبرز المفكرين المساهمين في بلورة مفهوم النسق في المجال الأدبي دي سوسير في دروسه اللسانية عندما ربط اللغة بالنظام، إذ وصف اللغة بنظام من العلامات بعد تركه (النحو المقارن) الذي قضى فيه زمنا من الدراسة والاهتمام البالغ، وقد أغنى الدرس اللغوي اللساني بثنائيات أشبه بالنظام والنسق اللغة والكلام والدال والمدلول والآنية والزمانية والوصفية والتاريخية(وغليسي، 2004، ص44) ، وقد تبنى الدكتور عبد الله الغذامي أنموذج دي سوسير إلا أن اختلف عنه حين ابتعد عن مفهوم البنية ورؤيته للنسق في إمكانية استعماله في الخطاب الخاص والعام ويشيع في الكتابات إلى درجة قد يشوه دلالتها(الغذامي، 2005، ص76) ، ومن هنا يعد النسق الثقافي من منظور الغذامي مفهوما مركزيا في نظريته النقدية يكتسب قيما دلالية، وسمات اصطلاحية خاصة، وهذا يقتضي إجرائيا "أن نقرأ النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة، قراءة من وجهة نظر النقد الثقافي أي أنها حالة ثقافية، والنص هنا ليس نصا أدبيا وجماليا فحسب، ولكنه حادثة ثقافية، فإن الدلالة النسقية فيه سوف تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى الصريح منها والضمني والتسليم بالقيمة الفنية وغيرها من القيم الخصوصية التي تلغيها الدلالة النسقية وليست بديلا عنها، بل إننا نقول إن هذه الدلالات وما يلتبسها من قيم جمالية تلعب أدوارا خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ بها لأنساق وتتوسل بها لعمل عملها الترويضي الذي ينتظر من هذا النقد أن يكشف عنه"(قباري، دت، ص16)

- **الأنساق المضمرة في رواية نصف شمس صفراء:**

سنحاول في هذه الورقة البحثية تحليل رواية "نصف شمس صفراء" لتشيماماندا النيجيرية وفق آليات وإجراءات النّقد الثّقافي والبحث عن مختلف الأنساق الثقافية المتوارية خلف الرّواية، إذ يمكن مع النّقد الثّقافي التّنقّل "بيسر وسهولة من النّصوص الفنّية والإبداعية إلى السّياق الثّقافي بكلّ جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسّياسية والأنثروبولوجية"(أيزابرجر، 2003، ص16) وعدم الاقتصار على المعالجة الفنّية التي قلّلت من القيمة الجمالية للخطابات الرّوائية.

1. **ملخص الرواية:**

وفي هذه الرواية تقوم الروائية بتقمص مدهش وبراعة القاص التلقائي بنسج حياة ثلاث شخصيات يتم اكتشافها في الاضطرابات الهائلة لمرحلة الستينات من القرن العشرين، فهناك أوجو الفتى البالغ الثالثة عشرة من عمره الذي يلتحق بالعمل خادماً في دار أستاذ جامعي مليء بالنزعة الثورية.

وأولانا هي الخليلة الجميلة للأستاذ الجامعي، والتي تخلت عن حياتها المترفة في لاغوس لتحيا في مدينة جامعية مترية من أجل كاريزما حبيبها الجديد، وريتشارد هو شاب انجليزي خجول ينطلق في أعقاب توأم أولانا، وهي شخصية غامضة ترفض أن تنتمي إلى أحد غير نفسها.

ومع تقدم القوات النيجيرية وحتمية هرب هؤلاء الثلاثة للنجاة بحياتهم، فإن مثلهم العليا تتعرض للاختبار بقسوة، شأن ولائهم أحدهم للآخر. هذه الرواية ذات الطابع الملحمي الطموح تعد عملاً مميزاً يدور حول المسؤولية الأخلاقية، وحول نهاية الكولونيالية، وحول الولاءات العرقية، وعن الطبقة والعرق، والطريقة التي يمكن للحب أن يعقد بها هذه الأمور كلها.

وتستحضر أديتشي، بصورة متألقة، الوعد وخيبات الأمل المدمرة التي وسمت هذا الوقت وذلك المكان، حيث تجلب لنا إحدى أقوى وأجمل الصور الروائية التي تدور حول إفريقيا الحديثة التي قُدِّر للقراء أن يعرفوها. في الرواية ينجو أوجو، الذي لا يتجاوز عمره الثالثة عشر عاماً من التجنيد في صفوف جيش بيافرا، ونتابع التوأم أولانا وكينيني اللتين تنحدران من عائلة ثرية وذات معارف ممتدة.

وتضفي الحياة السياسية المركبة قوة استثنائية على حبكة الرواية، وتبدو العديد من أجزائها مروعة حقاً، وبصفة خاصة الأجزاء التي تتناول القضاء على أقارب أولانا وكينيني. ولكن هذا العمل الملحمي الممتد له جوانبه العاطفية الحارة أيضاً، فأولانا المتمردة هي خليلة أودينيبو، الأستاذ الجامعي المليء بالحماس لكل ما هو مناهض للكولونيالية.

بينما ترتبط أختها كينيني بعلاقة عاطفية مع ريتشارد، الوافد البريطاني الذي قدم إلى نيجيريا لتأليف كتاب عن فن الايجبو . أوكو، والذي توشك علاقته مع كينيني على التمزق عندما يقضي ليلة سكرى مع شقيقتها أولانا. وتحفل الرواية بالإنجازات في رسم الشخصيات والوصف، وبصفة خاصة وصف تأثير وحشية الحرب على الفلاحين والمثقفين على السواء.

2. الأنساق الثقافية في الرواية:

1.2 دلالة العنوان

تعد عتبة العنوان في الأعمال الإبداعية الرّوائية من العتبات التي لها نسق خاص بها فهي تختلف تماماً عن عناوين الكتب العادية، فبقدر جمالية هذا العنوان وغرابته وتشويقه كان ذلك أدعى لإجبار المتلقّي لاكتشاف ما وراء هذه العتبة "ويطرح من خلالها على نفسه أسئلة تتعلّق بما هو آت"(مداس، 2009، ص40) وبالتّالي أضحى الاهتمام في وقتنا الرّاهن بعتبة العنوان بالنّسبة للمؤلّفين والكتّاب من الأمور التي تتطلّب منهم ذوقاً خاصّاً وإمعان نظر، فبقدر تكثيف الشّحنات الدلالية في العنوان وترك القارئ يدخل في عالم التّأويل، كان ذلك سببا مهماً في استمالة قلبه لِأَنْ يقبل على العمل بلهفة وشوق وإلى هذا الأمر يُشير أحد النقاد بقوله:" إن العنوان لا يتجاوز حدود الجملة إلاّ نادراً وغالباً ما يكون كلمة أو شبه جملة وعلى الرّغم من هذا الافتقار اللّغوي، فإنّه ينجح في إقامة اتّصال نوعي بين المرسِل والمستَقْبِل على قاعدة العمل الذي يعنونه هذا النّجاح" (الجزار، 1998، ص21) ، فإذا كان اهتمام المبدع بتنظيم وترتيب فصوله في جانب المتن من الأمور الضّرورية والمهمّة، فلا بدّ أن لا يغفل كذلك على عتبة العنوان وأن يُعيرها اهتماماً بالغاً بالوقوف معها وقفة مطوّلة ينتقي أجودها وأحسنها وأدقّها.

وقد جاء عنوان الرواية "نصف شمس صفراء" مستوحى من علم جمهورية بيافرا الذي يحمل رمز نصف شمس صفراء، وبيافرا هي مجموعة طائفية مسيحية استقلت عن نيجيريا عام 1970 بعد حرب أهلية دامية قضت على أكثر من مليون مواطن نيجيري، واتخذت من شروق الشمس رمزا لها لتعبر بذلك –باستقلالها عن نيجيريا- عن وجود يوم جديد حياة جديدة ومجتمع جديد مستقل وحر، ويدعم هذا التأويل ما قالته الروائية :"**رفضت الشمس أن تشرق، سوف نجعلها تشرق**..."(تشيمامندا، 2009، ص160) فبالرغم من رفض السلطة النيجيرية الاستقلال إلا أن شعب بيافرا خاض حربا دامية من أجل استقلاله وكان له ذلك بعد ثلاث سنوات من النزاع.

وقد جاء هذا العنوان كعتبة دلالية مركزة للرواية التي حكت أحداث -قبل وأثناء وبعد- حرب بيافرا الأهلية.

2.2 نسق الجنس

طغت تيمة الجنس على أحداث الرواية، فلا يكاد يخلو مقطع من أفعال التحرش والمعاشرة الجنسية بين شخصيات الرواية، فآجو الخادم الصغير لبطل الرواية أدينيبو يتحرش بآنيوليكا جارته بالقرية، فتروي الكاتبة قائلة:" مع هذا كان يحب أن يذهب إلي بيتها في مهام أسرية .كان ذلك فرصةً ليجدها منحنية فوق خشب النار تؤججه، أو تقطع أوراق الأجو من أجل قِدرة حساء أمها، أو حتى فقط تكون جالسة في الخارج تراقب أشقاءها الصغار، ودثارها متهدل بما يكفيه ليرى قمة ثديها وقد

بدآ في البروز، هذان النهدان الناهدان، وقتها كان يتساءل ما إذا كان ملمسهما هلاميا رطبا أم جافا مثل تلك الفاكهة غير الناضجة في شجرة اليوبو .كم تمنى لو لم تكن آنيوليكا منبسطة الصدر هكذا -وتساءل ما الذي أخرها في الوصول إلى ذلك، رغم أنها ونيسيناتشي من نفس العمر تقريبا -لكي يتمكن من مس نهديها .كانت آنيوليكا بالتأكيد ستصفع..... وجهه أيضا، لكنه كان سيفعل ذلك بسرعة -يهصره ويجري -وبهذه الطريقة كان سيأخذ على الأقل فكرة ما، ويعرف ما الذي يتوقعه عندما في الأخير يمس نهدي نيسيناتشي" (تشيمامندا، 2009، ص460) تروي الكاتبة حلم آجو بلمس آنيوليكا والتحرش بها .

وتواصل سرد أمنيات آجو الجنسية فتقول: "هذان الثديان كانا الصورة التي يحفظها في الليالي الكثيرة متمنيا أن يمسسهما بنفسه، ببطء في البدء ثم بعنف حتى تنطلق أنّةُ عويلٍ تجعله يهرب"(تشيمامندا، 2009، ص15).

وتواصل الكاتبة تطعيم روايته بتيمة الجنس لتسرد هذه المرة تحرش وزير المالية أوكنجي بأولانا بطلة الرواية فتقول: "أنا وحسب لا أقدر على عدم التفكير فيكِ، "قال ثانية" .انظري، ليس عليك العمل في الوزارة .أستطيع أن أجعلك تسافرين، تسافرين حيث تشائين، وسوف أؤثث لك شقة أينما أردتِ ".جذبها إليه، ولبرهة لم تفعل أولانا شيئاً، ترنح جسدها نحوه .كانت معتادة على ذلك، أن يتحرش بها رجال يسيرون في سحابة مبللة من عطور مجهولة، يفترضون أنها ملكهم بما أنهم ذوو نفوذ ويجدونها جميلة .دفعته للخلف، أخيرا، وشعرت بغثيان غامض لأن يديها غطستا في صدره الطري" .توقف عن ذلك يا رئيس. (تشيمامندا، 2009، ص37)"

أغمض عينيه" .أحبك، صدقيني .أنا بالفعل أحبك".

تسللت من حضنه ودلفت للداخل .صوت والديها كان خافتًا من غرفة المعيشة(تشيمامندا، 2009، ص37)

مرة أخرى تستعرض الكاتبة الحوارات الجنسية بين شخصيات روايتها، وهذه المرة بين ريتشارد الشخصية البريطانية وكاينين توأم ألانا بطلة الرواية؛ حيث تقول:

"لم يستدر ريتشارد ليشاهد" .أفضلُ الحديث إليكِ أنتِ، "قال" .إذا لم تمانعي

".مرر يده خلال شعرها. كانت تتأمله؛ أحس كأنه مراهق بتحديقتها فيه"(تشيمامندا، 2009، ص60).

وتواصل الكاتبة سرد مشاهد روايتها الجنسية قائلة:

"انتابه خليط واهن بين الدهشة والرغبة .خلعا ملابسهما سريعا.

التصق جسده العاري بجسدها وسرعان ما كان منهكًا .تحسس زوايا عظام رقبتها ومؤخرتها آملاً أن يعمل جسده مع عقله ليؤدي أداء أفضل، آملاً أن تتحول رغبته إلى إثارة .لكنه لم يتصّلب .كان بوسعه أن يحس بالكتلة الرخوة بين ساقيه...." (تشيمامندا، 2009، ص64).

حتى آجو الخادم الصغير أسندت إليه مشاهد التحرش داخل الرواية في أكثر من موضع، فها هو مرة أخرى يتحرش بأولانا بطلة الرواية ويعبث بملابسها الداخلية: "لم يكن يحب أن يسمعها، لكنه كان غالبا يذهب إلى بابهما ويضع أذنه على الخشب البارد وينصت، مثلما كان يفحص ملابسها الداخلية التي تعلقها في الحمام -كيلوت أسود، سوتيان زلق، بنطلون أبيض"(تشيمامندا، 2009، ص83).

فتجريب الممنوع وكسر الطابو هو ما يصبو إليه الرّاوي دائما إمّا لفتا لانتباه قرائه على اختلاف جنسهم أو إرواء لعطشه الدّاخلي، أو تعبيرا عن أفكاره وأيديولوجياته وتوجّهاته عن طريق شخصياته التي يدفع بها نحو المحرّم دون الالتفاتة إلى الرّقابة أيّا كان نوعها.

لكن الشيء الذي تصبو إليه الكاتبة من جعل الجنس عنصرا طاغيا على أحداث روايتها هو إظهار موقفها من انفصال سكان الإيبو عن نيجيريا ودعمها لهم، فنيجيريا بلد مسلم ومجتمع محافظ والحديث عن الجنس فيه يعد من المحرمات،

فالمحرم في نيجيريا البلد العدو هو المحبب للكاتبة ؛ لهذا كان حديث الكاتبة عن الجنس في الرواية بصورة مفرطة كأداة تنقض بها شرعية نيجيريا وقوانينها ودينها وأعرافها.

3.2 العقيدة والإيديولوجيا:

تروي الكاتبة معتقدات سكان الإيبو فهي تراها لازالت بدائية بعيدة عن المس الحضاري؛ حيث إن المرض والحمى سببه الأرواح الشريرة بحسب ما قاله آجو الخادم وأحد أبرز الفاعلين في نسج أحداث الرواية؛ حيث تقول :

"إنها الأرواح الشريرة. الأرواح الشريرة جعلته يفعل هذا .إنها تختبئ في كل مكان وتترصد .حينما مرِض بالحمى، ومرة حين سقط من على الشجرة، مسحت أمه جسمه ب *أوكيوما*، وهي تتمتم" :سوف نهزمها، لن نجعَلها تنتصر(تشيمامندا، 2009، ص20). "

وتقول أيضا:" لأنه كان يتصور أن الأرواح الشريرة وحدها هي التي لها عيون في لون العشب الأخضر(تشيمامندا، 2009، ص24)".

وتسرد الكاتبة أن سكان الإيبو مسيحيون وليسوا مسلمين وتؤكد ذلك في العديد من مشاهد رواياتها السردية؛ حيث تقول بطلتها:" غدا علي واجب خيري في كنيسة سانت فينسينت دي بول(تشيمامندا، 2009، ص37)."

وتُظهر ألانا بطلة الرواية احتقارها للفكر الديني الإسلامي، فتخاطب محمد –شخصية مسلمة في الرواية- مستهزئة بتعاليم الدين التي تحرم زواج المسلم من ملحدة، فتقول: " لم أعد تلك المرأة من الإيبو التي وددت أن تتزوجها فتلطخ بها سلالَتك بدم ملحد، "قالت أولانا، وهما يركبان سيارة محمد البورش الحمراء" لذلك أنا الآن صديقة. (تشيمامندا، 2009، ص48)"

فتحاول الكاتبة أن تعطي سورة سيئة عن الإسلام، فهذا الأخير–بحسب رواية الكاتبة- هو دين يرفض زواج الملحدات ولكنه يسمح باتخاذ خليلات.

وتبين الكاتبة مدى التعدد اللغوي في نيجيريا فتقول على لسان شخصياتها

"أوه، نعم، أحضرته .أنا كبوتاجو يا .كانت لهجةُ السيد الإيبو لها ملمس الريشِ في أذني الصغير آجوو .لهجةٌ إفريقية ملونةٌ بظلال من الإنجليزية، لهجةٌ تخص رجلاً كثيرا ما يتحدث الإنجليزية"(تشيمامندا، 2009، ص11).

لكن لهجتهما بالهاوسا كانت سريعة جدا، وأصعب من أن تُتابع .تمنت إن كانت أكثر طلاقة في الهاوسا واليوربوا، مثل خالها وخالتها وأبناء خالها أيضا(تشيمامندا، 2009، ص43) ،

اختلست أولانا النظر للمرأة .كانت من الإيجوا ولم تفهم لهجة آريزي الإيبو..... (تشيمامندا، 2009، ص44)

وتظهر الكاتبة للقارئ احتقار مسلمي نيجيريا لسكان الإيبو فتسرد حوارا دار بين محمد المسلم وألانا بطلة الرواية البيافيرية –سكان الإيبو-؛ حيث تقول:

"أفضل كيف، ماه؟ "يرد عليها دائما بالإنجليزية حينما تكلمه بالإيبو، كأنما يرى أن محادثتها

له بالإيبو إهانة يجب أن يدافع عن نفسه ضدها بإصراره على التحدث بالإنجليزية(تشيمامندا، 2009، ص49).

فمحمد المسلم يشعر بالإهانة حين تحدثه آلانا بالإيبو فيرد عليها بالإنجليزية، صورة قمع من طرف المسلمين لسكان الإيبو تدسها الكاتبة ضمن روايتها.

وتطرح الكاتبة نقاشا دار بين ألانا المثقفة وآريزي الماكثة بالبيت حول الزواج:

"إذن يا أختاه سوف تنتقلين إلى نسوكا لتتزوجي أودينيبو؟ "سألت آريزي.

"لا أدري عن الزواج بعد .أريد وحسب أن أكون بجواره، وأريد أن أُدرس".

كانت عينا آريزي المستديرتان حائرتين ومعجبتين" .وحدهن النساء اللواتي قرأن كتبا كثيرة مثلك يستطعن قول مثل هذا يا أختاه .إذا امرأةٌ مثلي ممن لا يعرفن الكتب انتظرت طويلاً جدا، ستنتهي صلاحيتها ".توقفت آريزي وهي تزيل البيضة نصف الشفافة الباهتة من بطن الدجاجة" .أريد زوجا اليوم وغدا، أوه !زميلاتي كلهن غادرنني وذهبن إلى بيوت الأزواج".

"أنت صغيرة، "قالت أولانا" .يجب أن تركزي على الخياطة الآن".

"هل ستمنحني الخياطة طفلاً؟ حتى لو كنت أكملت المدرسة، كنت سأظل بحاجة إلى طفل".

"لا داعي للعجلة يا آري ".تمنت أولانا لو تستطيع زحزحة الكرسي القصير جهة الباب، من أجل بعض الهواء النظيف . لكنها لم تشأ أن تدرك الخالة أو آريزي أو حتى الجارة أن الدخان يؤذي عينيها وحلقها أو أن مرأى بيض الصراصير يصيبها بالغثيان .ودت أن تبدو معتادة على كل ذلك، على هذه الحياة(تشيماماندا، 2009، ص44).

ترى الكاتبة من خلال بطلتها أن الزواج أمر ثانوي، وأنه على المرأة أن تركز على عملها ودراستها فهما من سيجلبان لها السعادة والراحة، وبالمقابل تصور الكاتبة شخصية آريزي الماكثة بالبيت والتي لا تبحث سوى عن زوج تنجب منه أطفالها بأنها امرأة غير نظيفة ولا تهتم بنفسها ولا تعي ما يحصل حولها، فهي تعيش حياة تمقتها البطلة المثقفة.

وتؤكد هذه الفكرة بسرد مشهد آخر يبين مدى قسوة الأم وغطرستها لأنها رفضت تزويج ابنها بمثقفة (آلانا) وعنفتها من أجل ذلك فالأم ترى أن المثقفة امرأة عاهرة ولا تصلح أن تنجب أطفالا فاختارت له إحدى الفتيات الماكثات بالبيت

يقول آجو:"لقد كان الأمر سيئًا جدا يا صاح .سيء جدا .ماما تقريبا صفعت السيدة".

"ماذا؟ صفعت أولانا؟ "سأل السيد.

"كلا يا صاح ".توقف آجوو؛ ربما ذهب بعيدا باقتراحاته" .لكنها بدت كأنما تريد أن تصفع سيدتي".

انبسط وجه السيد" .لم تكن المرأة أبدا منطقية، في أي مستوى،"....

لكن آجوو لم يرد أن يركب السيارة.... الخطوة الأولى هي أن يذهب السيد ويسترضي أولانا. تهجم أم أودينيبو على أولانا وطردها لأنها تراها عاهرة لا تستحق ابنها"(تشيماماندا، 2009، ص96) .

ففكرة أن المثقفة هي عاهرة لا تصلح لإنجاب أطفال فكرة طاغية في مجتمعات العالم الثالث، وقد حاولت الكاتبة علاجها من خلال روايتها وعبر العديد من المشاهد السردية، لتبين للقارئ، أن المثقف والمثقفة هما من منحا معا الحرية والاستقلال لجمهورية البيافرا.

تسرد الكاتبة العديد من العادات والتقاليد والعقائد في نيجيريا ضمن روايتها لتبين مدى التنوع العرقي والثقافي لهذا البلد، وكما نعلم أن من مكونات الهوية والوطن هو وحدة الثقافة والدين والعادات والتقاليد، فبعرض الكاتبة لهذا التنوع تريد أن تبين للقارئ وللعالم بصفة عامة أن انفصال سكان الإيبو عن نيجيريا كان لابد منه وذلك لاختلاف الإيبويين عن سكان نيجيريا سواء من حيث الدين أو العادات أو العقيدة.....، لكن الكاتبة تتجاهل تماما الاختلاف الاقتصادي كذلك بين نيجيريا وجمهورية البيافرا، فهذه الأخيرة تقع جنوب شرق نيجيريا ، جغرافيا هي منطقة غنية بالكثير من الموارد والثروات الطبيعية وهذا هو السبب الرئيس للانفصال عن البلد الأم.

4.2 نسق الصراع السياسي

ولتؤكد الكاتبة أحقية جمهورية بيافرا في الاستقلال تظهر للقارئ وعبر لسان شخصياتها أن نيجيريا يسودها الحكم القبلي ولا تستطيع تسيير شؤونها بنفسها، حيث تقول:

"كانوا يتشاجرون حول طبيعة سياسات نيجيريا القبلية، وحول أن أولئك الرجال لم يكونوا بعد مستعدين للحكم الذاتي رغم كل ذلك"(تشيمامندا، 2009، ص55).

وتبين للقارئ أن سكان الإيبو لهم تاريخ قديم يبين مدى قوتهم حتى على قلع الآلهة ، فهم سكان لا يرضون الطغيان والظلم، لكن إحدى المقالات التي تتكلم عن مكتشفات الإيبو-أكوا اقترحت أنهم ربما قديما عرفوا الملوك ثم خلعوهم فيما بعد . فالإيبو على كل حال أناس يخلعون الآلهة الذين يعمرون أطول من فائدتهم(تشيمامندا، 2009، ص71).

"هذه نهاية الفساد !هذا ما كنا نحتاج أن يحدث منذ الانقلاب العام"(تشيمامندا، 2009، ص117) .

أعطت الكاتبة جميع الأسباب التي تحق لبيافرا بالثورة والانفصال عن نيجيريا، فنيجيريا متسلطة، لا تستطيع تسيير شؤونها وتضطهد شعوبها، كما أن ساستها سفاحون وقتلة مغتصبون ومفسدون؛ حيث تقول:

"نعم صاح، "قال آجوو وهو يراقب أولانا .كان رأسها مسنودا بيديها المقبوضتين .تمنى حقا لو كان يشعر بالأسف على صديقها السياسي الذي قُتل، لكن الساسة لم يكونوا مثل البشر العاديين، كانوا ساسة .كان قد قرأ عنهم في عصر النهضة وجريدة الديلي تايمز- إنهم يدفعون للسفاحين ليضربوا خصومهم، يشترون بيوتًا وأراضي بأموال الحكومة، يشترون أساطيلَ من السيارات الأمريكية الفارهة، يشترون نساء ليملئوا بلوزاتهم بأصوات اقتراع كاذبة ويزعمون أنهم حوامل .كلما أفرغ إناء من الفول المسلوق، كان يفكر في بؤرة الفساد اللزجة للساسة(تشيمامندا، 2009، ص118).

وتروي تفاصيل القتل والتعنيف لسكان الإيبو أطفالا ونساء رجالا وشيوخا من قبل الجنود النيجيرين ، فتقول(تشيمامندا، 2009، ص123-129):

"اضطهاد الإيبو نادى واحد من الجمهور" :نحن نحصي الإيبو .أويا، تقدم وعرف هويتك .هل أنتِ أيبو؟"

يخرجون في الشوارع بدأوا في ملاحقة الإيبو لأنهم يقولون إن الانقلاب صنعه الإيبو".

قال كاينين" .لقد قتلوا اللواء أودودي إكيتشي".

"أودودي؟ "لقد كان واثقًا أن الأمر متعلقٌ بمادو لدرجة أنه ظل محايدا لبرهة.

"الجنود الشماليون وضعوه في زنزانة في الثكنات وأطعموه برازه الخاص .وهو أكل برازه".

توقفت كاينين" .ثم ضربوه حتى فقد الوعي ثم ربطوه إلى صليبٍ حديدي ثم ألقوا به في الزنزانة من جديد .ومات مربوطًا إلى الصليب الحديدي .مات فوق الصليب".

تصور الكاتبة أن الانقلاب في نيجيريا كان سببه الصراع الديني وتسلط مسلمي نيجيريا على مسيحييها ، فقد أظهرت أن سكان الإيبو مسيحيون ظلموا واضطهدوا من قبل المسلمين فهم ملحدون في نظرهم وجب قتلهم، فتقول:

منذ حدث الانقلاب الثاني قبل أسابيع، حينما قُتل الجنود الإيبو، .....

"يقول سول إنهم يغلقون الطرقات ويبحثون عن الملحدين..... .الطلبة المسلمون كانوا يتظاهرون دائما لشيء أو لآخر على كل حال، ويتحرشون بالناس الذين يرتدون الملابس الغربية، لكنهم دائما سرعان ما يختفون(تشيمامندا، 2009، ص131).

وحتى تتجنب البطلة عنفهم وتقتيلهم ارتدت الخمار واستخدمت الكاتبة لنسج هذا المشهد شخصية محمد المسلم لتبين أن المسلمين فقط من يعرفون كيف يتجنبون ظلمهم، فتجعل من شخصية محمد المسلمة شاهدة على جرائم المسلمين(تشيمامندا، 2009، ص135):

دخل محمد غرفة وخرج يحمل طرحةً طويلة.

وضعتها أولانا على رأسها ولفّتها حول عنقها.

"أبدو تماما مثل امرأة مسلمة، "قالت مازحة.

وتواصل الكاتبة روايتها مبينة للقارئ أن المسلم هو قاتل إرهابي وتؤكد ما يقره الإعلام الغربي، وتدرج في ذلك العديد من المصطلحات التي يستعملها المسلم أثناء خطبه الدينية أو عباداته، فتقول(تشيماماندا، 2009، ص141):

لوح الجندي الأول ببندقيته حوله" .....أين المواطنون الإيبو؟ من هنا إيبو؟ أين

الكفرة؟"صرخت امرأة.

"أنت إيبو، "قال الجند ي الثاني لننايمكا.....مشى الجندي إليه" .قلْ **اللهُ أكبر**"!

"قلْ **الله أكبر** "!كرر الجندي.

ركع ننايمكا .رأي ريتشارد الفزع يحفر عميقًا داخل وجهه حتى أن وجنتيه تهدمتا ووجهه مسخ إلى قناع لا شيء يشبهه . لن يقول الله أكبر لأن لكنته سوف تطيح به .تمنى ريتشارد أن يقول الكلمتين على أي نحو، أن يحاول؛ تمنى شيئًا ما، أي شيء يحدث في هذا السكون الخانق، وكأنما كإجابة على أفكاره، انطلق الرشاشُ وانفجر صدر ننايمكا، تطرطشَ كتلا حمراء، فأوقع ريتشارد الورقة من يده.

وتقول: "إنهم مندهشون لأن الحرب التي أذاقها هارولد ويلسن للمسلمين رعاة الغنم لم تقتلنا بسرعة كما كانوا يأملون(تشيماماندا، 2009، ص182)

كلمات الله أكبر واركع وكفرة.. استخدمتها كثيرا الجماعات الإرهابية المتطرفة كالقاعدة وداعش... في عدوانها على المواطنين الأبرياء باسم الإسلام، وغمرت بها الكاتبة روايتها ؛ لتؤكد للقارئ أن دولة نيجيريا دولة إسلامية كانت تقتل باسم الدين، ولتبين أن الإسلام دين حرب وقتل، لكن الكاتبة تجهل أن الصراع في العصر الحديث هو صراع اقتصادي لا ديني، وأن روايتها هي من حملت الصراع والكره والتفرقة الدينية والعقائدية. كما أن وصف المسلمين برعاة الغنم هو وصف غربي تستعيره الكاتبة لتثبت دون وعي منها أن روايتها جاءت لتخدم الغرب مثل فعل جداها فقد قسموا نيجيريا ليس من أجل أنفسهم ولا من أجل التغيير بل من أجل أمريكا وإسرائيل و.. هذه الأخيرة التي لطالما دعمت استقلال بيافرا.

على طاولتها الجانبية، كان أودينيبو قد وضع ورقة طويلة مطبوع على رأسها" :**نحن، هيئة تدريس الجامعة، نطالب بالانفصال كوسيلة للأمن** "وفي الأسفل توقيعات كثيرة(تشيماماندا، 2009، ص148).

تبين الكاتبة أن مثقفي بيافرا هم من دفعوا نيجيريا إلى الاعتراف باستقلال جمهوريتهم، ولكن الاستقلال في الحقيقة كان برعاية غربية ودعم إسرائيلي، فتدفع نيجيريا الثمن باهظا مليون قتيل وخسارة للعديد من الموارد الطبيعية الهامة.

سرعان ما تحول التصفيق إلى غناء.

تضاا!-من إلى الأبد!

تضاا!-من إلى الأبد!

جمهوريتنا سوف تنتصر(تشيماماندا، 2009، ص181)!

بيافرا انتصرت في الحرب

العربات المصّفحة، ماكينات التروس

المقاتل وقاذف القنابل

ها إينويجي إيكي إميري بيافرا(تشيماماندا، 2009، ص248)!

الخاتمة:

حملت رواية نصف شمس صفراء العديد من الأنساق الثقافية المضمرة والتي لا تسمح لنا مساحة بحث بسيط بتجليها كلها، فالرواية في ظاهرها تحكي التاريخ، تاريخ الحرب الأهلية في نيجيريا، فالحرب هي البؤرة المحركة لأحداث الرواية

وتفاصيلها، ولكن المتوغل في أعماق الرواية والملم بتاريخ أحداثها تتجلى له بؤرة عميقة غير ظاهرة للمتلقي وأنساق خفية هي من تحرك الرواية، إنها معاداة الإسلام، فعلى طول الرواية وسرد أحداثها والوقوف على أهم مصطلحاتها وبنياتها الدلالية كـ: استخدام لفظتي الله أكبر عند القتل، الإفراط في المشاهد الجنسية، المسيحية دين التسامح والتعاون.. وإلى غير ذلك من الأنساق المضمرة داخل متن الرواية، يتأكد للقارئ المتفحص أن الرواية لم تكن تحكي فقط حربا أهلية ، بل هي حرب على الإسلام، تدعو إلى معاداة الدين الإسلامي وتجعل منه رمزا للقتل والتفرقة.

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

1. الغذامي عبد الله، (2005)، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2005.
2. الغذامي عبد الله، عبد النبي اصطيف، (2004)، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، ط1، دمشق.
3. شلش علي، (1993)، الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، الجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
4. عايدة موسى(2009)، تجارة العبيد في إفريقيا، الشروق، دط، الجزائر.
5. وحيد بن بوعزيز، (2018)، وظيفة النقد الثقافي، جريدة النصر.
6. رامي أبو شهاب، (2016)، في مفهوم النسق الثقافي- الممارسة والمظاهر والتشخيص النقدي، مجلة القدس العربي، ع5.
7. يوسف وغليسي، (2004)، محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، منشورات جامعة منتوري قسنطينة.
8. قباري محمد إسماعيل(دت)، علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، منشأة دار المعارف، الاسكندرية، مصر.
9. أرثر أيزابرجر، (2003)، النّقد الثّقافي – تمهيد مبدئي للمفاهيم الرّئيسية- ، تر :وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثّقافة، ط1، القاهرة، مصر.
10. أحمد مدّاس،(2009)، لسانيات النّص – نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعري- ، عالم الكتب الحديث، ط2، إربد، الأردن.
11. محمد فكري الجزار، (1998)، العنوان وسيميوطيقا الاتّصال الأدبي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، د.ط.
12. تشيماماندا نجوزي أديتشي، (2009)، نصف شمس صفراء، تر: فاطمة ناعوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط.